المصطلح اللساني عند الدكتور مسعود صحراوي بين التأصيل والمنجز اللساني الحديث

Linguistic Terminology in Dr. Masoud Sahrawi's Work: Between Linguistic Foundations and Modern Linguistic Achievement

مسعودة بشيري، خريبش محمد

med2011kheribeche@gmail.com ،bachirimes9@gmail.com

جامعة: د. يحي فارس بالمدية – كلية الآداب واللغات – مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية

تاريخ الاستلام: 2023/10/23 تاريخ القبول: 2023/11/14 تاريخ النشر: 2023/12/31

ملخص: يهدف هذا البحث إلى محاولة تتبع جهود الدكتور الجزائري مسعود صحراوي في التأسيس للمصطلح اللّساني -الفعل الكلامي- انطلاقا من كتابه التداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي والذي من خلاله سنركز على المصطلح اللّساني الجديد للتداوليّة، والمتمثل في علم الاستعمال اللّغوي وتأثيره على اللّغة العربية من حيث وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابية باعتباره علما جديدا للتواصل الإنساني.

وقد كان من نتائج هذه الورقة البحثية، التوصل إلى ضرورة اعتماد المنهج التداولي وتوظيفه في قراءة التراث العربي لا سيما المصطلح اللّساني "أفعال الكلام".

كلمات مفتاحية: مسعود صحراوي، مصطلح لساني، الفعل الكلامي، التداوليّة، التراث اللّساني، اللّغة العربية.

Abstract: This research aims to trace the efforts of the Algerian scholar Dr. Masoud Sahrawi in establishing linguistic terminology, particularly in the realm of speech acts, based on his influential work "Pragmatics Among Arab Scholars": A Pragmatic Study of Speech Acts in Arabic Linguistic Heritage. The study focuses on the new linguistic terminology of pragmatics, which involves the science of linguistic usage and its impact on the Arabic language. This includes describing it, observing its characteristics, and interpreting its rhetorical phenomena as a novel science for human communication.

Among the outcomes of this research is the necessity of adopting a pragmatic approach and employing it in the interpretation of the Arabic linguistic heritage, particularly regarding the linguistic terminology of "speech acts.".

Keywords: Masoud Sahrawi; linguistic term; verbal verb; pragmatic linguistic heritage; Arabic language.

المؤلف المرسل: بشيري مسعودة، **الإيميل**: bachirimes9@gmail.com

1.مقدمة :

من المعلوم في الدّرس اللّساني الحديث أنّ ما قدّمه "دي سوسير" من خلال محاضراته في الدّراسات اللّغويّة، كان سببا في إشعال ثورة فكريّة ومُنطلقاً جديدا في توحيد الفكر اللّغوي، وبمثابة الأرضية أو الأساس الذي انطلق منه الدّرس اللّساني، وتوالت المدارس اللّسانيّة بعد "دي سوسير" بكل مالها من تحديّات فكريّة واختلاف في المناهج والأطر، فكان أن ينظّم الدّرسَ اللّسانيَ نوعان من اللّسانيات المعاصرة:

نظريات لسانيّة صوريّة:

تنظّم جميع النّظريّاتاللّسانيّة الّتي تعتبر اللّغات الطبيعيّة أنساقا مجرّدة يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التّواصليّة.

نظريات لسانيّة وظيفيّة:

تشتمل النّظريّات اللّسانيّة التي تعتمد كأحد مبادئها المنهجية المبدأ الآتي: اللّغات الطبيعيّة بنيات تحدث خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في أطر وظيفتها الأساسيّة وظيفة التواصل[1] .

ومن بين النّظريّات اللّسانيّة المنتمية إلى المجموعة الثّانية اللّسانيات التداوليّة وهي حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمتلقي والسياق.

لقد سعى هذا الاتجاه إلى دراسة اللّغة من الجانب الوظيفي وهو منهج التقى فيه دارسون مختلفون جمعتهم بعض القضايا، واختلفوا في تناولها نظرا إلى اختلاف انشغالاتهم، وما جمع بينهم أسهم في تطوير الدّرس اللّساني إذ تجاوز بعض المفاهيم اللّغويّة التي شهدتها الدراسات اللّغويّة في الفترة الواقعة بين دروس "دي سوسير" وما جاء به "تشومسكي".

وقد أولى هؤلاء اللّسانيون المعاصرون الاهتمام للجانب الدلالي بعد أن أولى البنيويّون والنّحاة اهتمامهم للجانب البنيوي، فانتقلت الدّراسة من الاهتمام بالنّظام اللّغوي إلى الاهتمام بالمقام وعلاقة اللّغة بالممارسة الفردية[2].

وتعدّ نظرية أفعال الكلام من الموضوعات الرئيسية التي انبثقت في إطار اللّسانيات التداوليّة حيث تسعى هذه الأخيرة إلى الإجابة عن جُملةٍ من الأسئلة الهامة والإشكاليات الجوهرية من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ ماذا يقول بالضبط؟ ما هو مصدر التّشويش والإيضاح؟ كيف نتكلّم بشيء ونريد شيئاً آخر؟[3]

وقد اهتمّ الدّارسون العرب بالتداوليّة ويتجلّى ذلك بشكل جليّ في أبحاث وكتابات الجزائريّين والمغاربة والتونسيّين، ذلك أنّ الاتجاه التداوليّ عرف طريقه إلى العالم العربي عبر جامعة محمد

الخامس بالرباط، وقد ساهم في انتشاره عدّة عوامل أبرزها: البحث الأكاديمي، الندوات الدوليّة، التّدريس والنّشر، ليتّسع المجال إلى جامعة الحسن الثّاني بالدّار البيضاء والمحمديّة وجامعة مولاي إسماعيل كما تمّ اعتماده في الكتب المدرسيّة المقرّرة ولهذا نلمس وجود المنهج التداوليّ في المؤلفات لدى المغاربة بارزا خاصّة في جانبه النّظري والتّطبيقي.

ومن ذلك كتاب الوظائف التداوليّة في اللّغة العربية لـ: "أحمد المتوكّل"، وكتاب تحليل الخطاب الشّعري لـ: "محمد مفتاح".

ولأنّ البحث يتعلّق بدراسة المصطلح اللّساني في أعمال لسانيّين جزائريّين، فقد ارتأيت أن أعرِّف بالمصطلح اللّساني لدى أحد الباحثين الجزائريّن ألا وهو "الدّكتور مسعود صحراوي" من خلال مؤلفه "التداوليّة عند العلماء العرب" والتي سنحاولُ من خلالها التركيزَ على المصطلح اللّساني الجديد للتداوليّة، المتمثّل حسب ما يراه في علم الاستعمال اللّغوي ومتابعةَ مدى تأثيره على اللّغة العربيّة، باعتباره علمًا جديدًا للتواصل الإنساني، محاولين الإجابةَ عن الإشكاليات التالية

- ما مفهوم المصطلح اللّساني عند الدكتور مسعود صحراوي؟ وما الإضافات التي قدمها للفكر اللّساني المعاصر؟
- هل تمكن اللّساني الجزائري من إضافة لمسته الخاصة واجتهاده في حقل اللّسانيات؟

ولقد سعيتُ من خلال هذه الدّراسة إلى الوقوف على القيم العلميّة واللّسانيّة التي يحظى بها كتاب "التداوليّة عند العلماء العرب". وذلك بقراءته قراءةً تحليليّةً وصفيّةً، ومحاولة الوقوف على أهمّ المحطات المهمّة فيه والكشف عن شخصيّة "مسعود صحراوي" من خلال التّعرف على منهجيّته وتحليلاته، ووضعها في ميزان الدّرس اللّساني الحديث. والتعرض لأهمية الكتاب وإبراز خصائصه ومميّزاته، من خلال ما نجمله من آراء ونقد وتحليل وتفسير وتفكير لساني معاصر

2- التداوليّة:

2-1- مفهومها:

تعدّ التداوليّة أحدث تيار لسانيّ، إذ جاءت أبحاثها كردّ فعل على المنهجين البنيوي والتّوليدي، ولهذا يصعب تحديد مفهومها. فقد اختلف الباحثون في تعريف التّداوليّة نظرًا لاختلاف اختصاصاتهم ومشاربهم. فهناك من تناولها من جانب المعنى في سياقه التواصلي، أي الاهتمام بمعنى المتكلم من خلال دراسة المعنى التّواصلي وبيان قدرة المتكلّم على إفهام المخاطَب أكثر ممّا قال. وهناك من عرّفها انطلاقاً من مراجع الألفاظ كالإشاريات وأثرها في الخطاب والعلاقة بين المتكلم والمتلقي، ودورهما في التخاطب ومعناه، وإبراز جانب القوة الإنجازية[4].

كما أنّ مجالها واسع ومتشعّب وروافدها عديدة والظّروف الّتي صاحبت نشأتها وتداخلها مع كثير من العلوم والتخصّصات كالمنطق والفلسفة وعلم النّفس وعلم الاجتماع جعل كل باحث يعرّفها انطلاقا من تخصصه وهذا ما أكّده "دايك" بقوله: «هنا العلم بدأ تطوره على نحو صحيح من السّنوات العشرين الأخيرة له خاصية التداخل مع عده تخصصات أخرى، وقد حفّزته علوم الفلسفة واللّغة والانثروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضا»[5].

2-2- مفهومها عند العرب:

ارتبطت نشأة التداوليّة بالمحاضرات الّتي ألقاها الفيلسوف الأمريكي "بول كرايس" في جامعة هارفرد عام 1967، حيث رأى أنّ الكثير من الألفاظ لن تجد تفسيرها في المنهج الدلالي، ولكن في منهج تحادثي أو تداوليّ، وما يميز التفسير التداوليّ هو طبيعته الاستدلالية، حيث ينبأ السامع بالتواصل إلى الاستدلالات عن المعنى الذي قصده المتكلم، اعتمادًا على شيئين. الأول بمعنى ما قاله المتكلم، والثاني الافتراضات المسبّقة أو السّياقية أو المبادئ التواصليّة العامّة التي يحرص المتكلّم عادة على إتّباعها أثناء المحادثة. وبهذا يصل السّامع إلى تضمينات ما قاله المتكلّم[6].

أمّا استعمال مصطلح التداوليّة فيعود إلى الفيلسوف "تشارلز موريس"، انطلاقا من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيمائية من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع هي:

- النّحو والتركيب syntax: وهو دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات يبعضها البعض.
- الدّلالة semantic: وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تكون إليها هذه العلامات.
- التّداوليّة pragmatics:وهي دراسة علاقة العلامات بمستعمليها وبمؤوليها[7].

ويعود هذا التّنوع والتّعدد في تعريف الباحثين إلى جملة من الأسباب أهمها:

- تداخلها مع كثير من العلوم؛ إذ إنّ جملة من العلوم قد أسهمت في تشكيل هذا الاتجاه، فهو اتجاه قد تعدّدت روافده المعرفيّة التي مدّته بجملة من المفاهيم المستقرّة فيها كالفلسفة التحليليّة التي نشأت التداوليّة في كنفها، وعلم الدلالة وعلم اللّغة الاجتماعي.

تنوع النّظريّات الّتي تشكّلت داخل الاتّجاه التداوليّ، مما جعل الباحث داخل إحدى هذه النّظريّات يوجّه التداوليّة نحو النظريّة التي تنطلق منها[8].

وللتداوليّة تعريفات جمّة نذكر منها:

- التداوليّة: هي دراسة اللّغة من وجهة نظر وظيفيّة.
- التداوليّة: هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النّظريّات الأخرى.
- التداوليّة: هي فرع من فروع اللّغة، يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، إلا أنّ أوجز تعريف لها والأكثر قبولا: هو دراسة اللّغة في الاستعمال أو التواصل[9].

لغة: مشتقّة من مادّة (دَوَلَ) وردت في معجم لسان العرب دَوَلَ الدَّوْلَةَ والدُّولة بضم الدَّال وفتحها وقيل الدّولة بالضم في المال والدولة بالفتح في الحرب،يقال صار الفيء دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا، ومرة لهذا، والدولة اسم الشيء الذي يُتداول والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال... والدولة بالفتح: الانتقال من حال الشّدّة إلى الرّخاء ودواليك من تداولوا الأمر بينهم يأخذ هذا دولة وهذا دولة وقولهم دواليك أي تداولاً بعد تداول... ويقال تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاوننا فعمل هذا مرة وهذا مرة[10].

وجاء في معجم مقاييس اللّغة (الدّال والواو واللّام) أصلان أحدهما يدلّ على تحوّل شّيء من مكان إلى مكان، والأخر يدلّ على ضعف واسترخاء. فأمّا الأوّل فقد قال أهل اللّغة: أنذال القوم إذ تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا البّاب تداول القوم الشّيء بينهم أذ صار من بعضهم إلى بعض[11].

اصطلاحا: ومفهوم هذا المصطلح في الثقافة العربية من مقابلاته الترجمية نذكر ترجمة "طه عبد الرّحمن" إذ يقول:«وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليّات" مقابل للمصطلح العربي "براغماتيا" لأنّه يوفي المطلوب حقّه، باعتباره دلالةً على معني الاستعمال والتفاعل معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من الدّارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»[12].

فالتداوليّة في اللّغة من التداول، وكل تداول يقتضي متلفظا ومتلفظاً له، فعمليّه التداول تتمّ بين هذين الطرفين وتخضع لمقصدّية المتلفظ له، وكل تداول تحكمه ظروف وآليات وعوامل تحيط بهذه التّرجمة، لها ما يبرّرها ويبدو أنّها قد استقرّت بالفعل على حساب البراغماتية[13].

والتّداوليّة pragmatics هي دراسة اللّغة قيد الاستعمال أو الاستخدام، بمعنى دراسة اللّغة في سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية، هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة[14].

ويرى "مسعود صحراوي" أنّ التداوليّة مذهب لساني، يدرس علاقة النشاط اللّغوي بمستعمليه، وطرق وكيفية استخدام العلامات اللّغويّة بنجاح، والسياقات والطبقات المقاميّة المختلفة التي اتخذوا ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللّغات الطبيعية[15].

ويعتبر المصطلح الذي اقترحه "طه عبد الرحمن" التداوليّة، هو المصطلح الغالب والمهيمن على الدّرس اللّسان العربي، فأغلب المهتمين بهذا المجال يستعملونه.

3- قراءة وصفية تحليلية لكتاب التداوليّة عند العلماء العرب:

مُؤلَف "التداوليّة عند العلماء العرب"، دراسة تداوليّة لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللّساني العربي لصاحبه "مسعود صحراوي"يبلغ عدد صفحاته مئتين وأربعون صفحة، وتمّ تقسيمه

إلى فصولٍ خمسة، أوّلها عُنْوِن بالجهاز المفاهيمي للدّرس التداوليّ المعاصر، تعرض فيه إلى تقديم تعريف للتداوليّة والفلسفة التحليليّة، ثمّ تمّ تقديم أبرز مفاهيم التداوليّة وأهمّ مَهامِها، معرجا على نظريّة الملاءمة والعمل الكلامي، وكذا السياق التاريخي لمفاهيم التداوليّة، وخَصَّصَ الفصل الثاني بالعنوان التالي: "معايير التميز بين الخبر والإنشاء في التّراث العربي" ذكر فيه الأسس الإستمولوجية لظاهرتي الخبر والإنشاء في التراث العربي مشيرا إلى تمييز العلماء العرب بين الخبر والإنشاء في حين جاء الفصل الثالث. بتقسيمات العلماء العرب للخبر والإنشاء ذاكرا التقسيم الإجمالي والتقسيم التفصيلي. وبعدها الفصل الرابع تحت مسمى "الأفعال الكلامية عند الأصوليين" - لنختمه بالفصل الخامس الذي كان عنوانه "الأفعال الكلامية عند النحاة"، والذي تم اختتامه بخلاصة وخاتمة، وفهرس، وقائمة للمصادر، والمراجع.

3- أهداف المؤلف:

نذكر أنّ الهدف من كتابته لهذا البحث هو تعريف طلاب اللّسانيات خاصة، والقراء عموما، كيفية استثمار مفهوم الفعل الكلامي في قراءة الموروث اللّساني العربي عبر حقول معرفية متعددة كعلم البلاغة، وعلم أصول الفقه والنّحو ومحاولة تأصيله وإثراء الرؤية العربية المعاصرة للظاهرة وتعميقها ومزاوجتها بالجهد الذي بذله أسلافنا القدامى، واثبات احتواء التراث العربي على مباحث وأفكار ذات توجهات وإجراءات تداوليّة إلى الكشف عن الوجه الآخر للتفكير اللّسان العربي، ومن ثم تكون التداوليّة. مدخلا مناسبا من مداخل فهم هذا التراث العظيم وأداة من أدوات قراءته، وكذا الإسهام في تعريف نسق لغوى حديث ليعرفوه بلغتهم العربية بالنظر إلى خلوِّ السّاحة اللّسانيّة العربيّة من الكتب المتخصّصة التي يعرف بها البحث اللّساني المعاصر، زيادة على ذلك تضامن الجهود التي تهدف إلى قراءة هذه النظريّة قراءة جديدة تحاول أن تعيد إليها هويتها اللّغويّة بعد أن صبغت بالصبغة الفلسفيّة تارة والمنطقيّة تارة أخرى.

3-2- دوافع تأليف الكتاب:

إنّ ضرورة البحث في هذا الموضوع جعلت صاحبه يشرع في تأليفه، وهو بهذا يأخذ أهميّته من أهميّة الموضوع المتناول،«إذ يعتبر البحث في الأفعال الكلامية نواة مركزية لكثير من البحوث التداوليّة، وهو بحث في مضغة الاهتمام الأولى التداوليّة اللّغويّة وأساس من أكبر أسسها»[16].

ويعتقد "مسعود صحراوي" أنّ تطبيق المفهوم التداوليّ على اللّغة العربيّة سيسهم في وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابيّة التواصليّة، كما يعتقد أيضا أنّ استثماره في قراءة الإنتاج العلمي لعلمائنا القدامى سيسهم في اكتشاف جوانب من الجهود الجبّارة التي بذلها أولئك العلماء الأجلّاء وتثمينها،ويضيف أنّ البحث في هذه الظاهرة بات[17] ضروريا من أجل التّعريف بالأساس المعرفي

الذي قامت عليه أحدث النّظريّات الوظيفية في اللّسانيات المعاصرة نزيد على أنّ من أهم الدوافع التي جعلته يدرس هذه الظاهرة، أنّها أضحت تشكّل الأساس المعرفي لنظريّات لسانيّة معاصرة منبثقة عنها أو متأثّرة بها في الأسس المعرفيّة، أهمّها نظريّة النّحو الوظيفي "ليسيمون ديك"، فضلا على ذلك أنّ المكتبة العربيّة الحديثة تعاني فراغا كبيرا ونقصا هائلا في الكتب والدّراسات التي تخصّصت في بحث الظّاهرة من وجهه نظر لسانيّة، كما أنّ المؤلفات المتوفّرة التي أعدّها الأساتذة والباحثون المتخصّصون في فروع معرفية بعيدة عن البحث اللّغوي، فهي لا تنفي نجاحاتنا العلمية بحسب "مسعود صحراوي".

3-3- مفهوم التداوليّة عند مسعود صحراوي:

يرى مؤلف الكتاب أنّ أقرب حقل معرفي للتداوليّة هو اللّسانيات، وأنّه قبل وضع تعريف دقيق ومحدد لهذا العلم ينبغي النّظر أولا إلى علاقته باللّسانيات من جهة، وبالحقول المعرفية الأخرى من جهة ثانية، ومن ثم النظر إلى معيار الذي يمكن أن يجد من خلاله تعريفا للتداوليّة[18] .

إذن التّداوليّة عنده ليست علماً لغويّاً محضاً يتوقف عند تفسير البني اللّغويّة وحدودها وأشكالها، ولكنه علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللّغويّة في مجال الاستعمال ولهذا فإنّ التداوليّة همزه وصل بين حقول معرفيّة عديدة منها الفلسفة التحليلية وعلم النفس المعرفي، فهي إيجاد القوانين الكليّة للاستعمال اللّغوي والتعرف على القدرات الإنسانيّة للتواصل اللّغوي وتصير التداوليّة من ثم جديرة بأن تُسمى علم الاستعمال اللّغوي.[19]

3-4- مصادر الدّرس التداوليّ المعاصر:

الأفعال الكلاميّة مصطلح لسانّي ومفهوم تداوليّ، انبثق من مصدر هو الفلسفة التحليليّة بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا، وقد ذكر المؤلف أنّه من الضروري تقديم تعريف لها، وأهم ما يخدمنا منها هو لحظة انبثاق ظاهرة الأفعال الكلامية من قبل التحليل الفلسفي، ثم ما انجرّ عن ذلك من ولادة التيّار التداوليّ في البحث اللّغوي، وأنّ الفلسفة التحليليّة هي السبب في نشوء اللّسانيات التداوليّة.

لقد نشأت الفلسفة التحليليّة في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني غُوتْلُوبفريجة gotlobfrege(1848-1925) في كتابه: "أسس علم الحساب"، وكانت الدّروس في الجامعة الألمانيّة موردا لطلاب الفلسفة والمنطق من مختلف الأصقاع الأوروبيّة لا سيما ألمانيا والنمسا على الرغم من قلة إنتاجه المكتوب، وكان من أهم تحليلاته اللّغويّة تمييزه بين مقولتين لغويتين تتباين مفهوميّاً ووظيفيّاً وهما اسم العلم والاسم المحمول[20].

فالفلسفة التحليليّة هي حركة فلسفية تسعى إلى أن يكون موضوع الفلسفة ليس الواقع، ولكنّ موضوعها الخطاب واللّغة وما يتبادله الناس في حياتهم اليوميّة، ومن هنا يتجلى الفرق بين الفلسفة

التقليديّة عند أفلاطون وأرسطو وفلسفة التحليل على حدّ تعبير"فتغنشتاين"فهي نشاط ضدّ كل أنواع الخلط الفكري الذي تمتلئ به الفلسفة كلها.

يمكننا القول إنّ اهتمام فلاسفة التحليل باللّغة، كان تعبيرا عن اهتمام فلسفي ومنطقي باللّغة باعتبارها إطاراً ملائما لحلّ كل المشكلات الفلسفيّة بما فيها المشكلات التي تخص المنطق وفلسفة الرياضيّات، إذ لم تكن تحليلاتهم للّغة مقتصرةً على البحث في المسائل اللّغويّة المحضة كما هو الحال عند علماء اللّغة، ولكنّها كانت تربط تلك المشاكل بالمشكلات الفلسفيّة، لهذا السبب لم تكن الفلسفة اللّغويّة عند فلاسفة التحليل فرعا من فروع الفلسفة كفلسفة العلم أو فلسفة الرياضيات[21].

3-5- الفلسفة التحليلية analyticphilosophy:

اتّجاه فلسفي معاصر يقوم على مبدأ التحليل، يسعى إلى تبسيط القضايا المعقدة وتفكيك الكلّ إلى أجزاء من أجل جعل الدّراسة المستعصيّة ممكنةً، وذلك عن طريق الانطلاق من النّتائج إلى الأسس ومن الانعكاسات إلى الأسباب وكذا من المظهر إلى الواقعة الحقيقيّة[22].

وقد قام صحراوي بتلخيص مفهومها في ثلاث نقاط:

- ضرورة التّخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم وخصوصا جانبه الميتافيزيقي.
- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع نظريّة المعرفة إلى موضوع التحليل اللّغوي.
- تحديد بعض المفاهيم اللّغويّة وتعميقها،ولاسيما مبحث الدّلالة والظواهر اللّغويّة المتفرعة عنه[23].

3-6- مهام التداوليّة:

لخصها المؤلف فيما يلي:

- دراسة استعمال اللّغة التي لا تدرس البنية اللّغويّة ذاتها، ولكن تدرّس اللّغة عند استعمالها في الطبقات المقاميّة المختلفة، أي باعتبارها كلاماً محدّداً صادراً من متكلم، محدَّد وموجها إلى مخاطب محدَّد بلفظ محدَّد في مقام تواصلي محدَّد لتحقيق غرض تواصلي محدَّد.
- شرح كيفية جريان العمليّات الاستدلاليّة في معالجة الملفوظات.
- بيان أسباب أفضليّة التّواصل غير المباشر وغير الحرفيّ على التّواصل الحرفيّ المباشر.
- شرح أسباب فشل المعالجة اللّسانيّة البنيويّة الصِّرف في معالجة الملفوظات.

وقد دافع "مسعود صحراوي" عن التداوليّة والتّصورات الخاطئة التي يتعرّض لها بعد تقديم عدّة حجج من ذلك:

- أنّه لا يمكن اعتبار التداوليّة سلّة مهملات، ذلك أنّ معظم الظواهر التي تدرسها التداوليّة تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللّغوي، وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات[24].
- التداوليّة ليست مكوّنا من المكونات اللّسانيّة البنيويّة لأنّها ليست هي المرحلة الأخيرة للتحليل اللّساني بالإضافة إلى أنّها ليست نظريّة للخطاب[25].

وقد اقترح صحراوي مسعود إجابة عن سؤال طرحه فيما يتعلق بإبراز الأنشطة التداوليّة وقد اختصرتها فيما يلي:

دراسة استعمال اللّغة عوضا عن دراسة اللّغة، ودراسة الآليات المعرفية المركزيّة ذلك أنّ التداوليّة تقيّم روابط بين اللّغة والإدراك عن طريق علم النفس المعرفي، ودراسة الوجوه الاستدلاليّة للتواصل الشفوي فتقيم من ثم روابط بين علم اللّغة والتواصل، وقد فرّق المؤلف بين اللّسانيات البنيويّة واللّسانيات التداوليّة، حيث وصف اللّسانيات البنيوية بالشكلانيّة والصوريّة أمّا اللّسانيات التداوليّة فتوجد لها آليات للتّفسير والتّعليل[26].

3-7- أبرز المفاهيم التداوليّة:

تقوم التداوليّة المعاصرة بحسب صاحب الكتاب على عدّة مفاهيم:

الفعل الكلامي، القصديّة، الاستلزام الحواري، ومتضمنات القول ونظريّة الملائمة، وبما أنّ موضوعنا خاص بالمصطلح اللّساني الجديد للتداوليّة، والمتمثل في علم الاستعمال اللّغوي وتأثيره على اللّغة العربيّة من حيث وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها فإنّنا نقتصر على ذكر المفهوم المقدّم من قبل "مسعود صحراوي" فقد اعتبر الفعل الكلاميّspeech act نواة مركزيّة في الكثير من الأعمال التداوليّة ومضمونه: أنّ كل ملفوظ ينهض على نظام شكل دلالي إنجازي تأثيري، ويعدّ نشاطاً ماديّاً نحويّاً يتوسّل أفعالا قوليّة acteslocutoires لتحقيق أغراض إنجازيّة actesillocutoires(كالطلب والأمر والوعد والوعيد...) وغايات تأثيره actesperloutoires تخصّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريّا أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيّا أو مؤسساتيّا ومن ثمّ إنجاز شيء ما[27].

3-8- نظريّة أفعال الكلام:

تعتبر نظريّة أفعال الكلام من أهم المفاهيم التي أخذت حيّزا كبيرا في النظريّة التداوليّة، فهي اللّبنة الأولى التي نشأت منها التداوليّة، ولا مجال للحديث عن التداوليّة أو التأريخ لها دون الحديث عن أفعال الكلام[28].

ولا يمكننا الحديث عن مفهوم هذا الأخير إلا بالرجوع إلى الخلفيّة المفاهيميّة النظريّة للأفعال الكلاميّة التي جاء بها الفيلسوف اوستين وطوّرها الفيلسوف "ج.سيرل" بإعطائها صيغتها النموذجية النهائيّة، فقد تعمق في إنجاز فلسفة دلاليّة تهتم بالمضامين والمقاصد التداوليّة وتختلف عمّا كان متعارفا لدى علماء الدّلالة اللّغويّين وخصوصا البنيويين منهم، لقد كان اوستين يلحّ على القيمة التداوليّة لعبارات لغويّة كثيرة تستخدم في اللّغة الانجليزيّة ربما في كل اللّغات[29].

ومن ثمّ فالاستعمال اللّغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه، ويمكننا القول إنّ الفعل الكلامي هو التّصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمّ فالفعل الكلامي أُريد به الانجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرّد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلة الأمر والنّهي والسؤال والوعد والتعيين والإقالة والتّعزية والتّهنئة فهذه كلها أفعال كلامية[30].

ولا تكاد تخلو المؤلّفات الّتي اهتمّت بالدّراسات اللّغويّة الحديثة من التّعرض لنظريّة الأفعال الكلاميّة بطريقة أو بأخرى ذلك أنّها استطاعت أن توصل القيمة البراغماتية للعمل اللّغوي التداوليّ إذ جعلت من طبيعة الفعل اللّغوي حدثا مؤثرا، بل ومغيرا للعالم، فاستطاعت هذه النظريّة عبر واقعيتها أن تعيد تشكيل العالم من خلال اللّغة، مستندةً على حدودها الدّلاليّة والوظيفيّة، ومعتمدة على قوتها الإنجازيّة في اللّغة، إذن ليست بنية ودلالة، بل هي أيضا فعل كلامي نؤدّي من خلاله أغراضاً مختلفةً[31].

3-9- شروط الفعل الكلامي

طرح اوستين John LangshauAustin قسماً ثانياً من العبارات إلى جانب العبارات الوصفيّة، ألا وهي العبارات الإنجازيّة التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النّطق بها مع تحقّق مدلولها، وقد مرّت هذه النظريّة عنده بمرحلتين: تتعلّق الأولى بالتّمييز بين الأقوال الّتي تحقّق عملا وتلك الّتي تصف واقعا، وفي المرحلة الثانيّة تصبح الأقوال التي تصف واقعا حالة خاصّة جدا من الأقوال التي تحقّق عملا، ثم جاء تلميذه جون سيريل J.R Searle الذي وضّح أفكار أستاذه وشرحها وطوّر النظريّة بشكل عام، فقام بتحديد شروط انجاز كل فعل وبيان شروط تحوّل الفعل من حال إلى أخرى وآليات تحقيق ذلك وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود، وقد حدّد سيرل أربعة شروط لتحقّق الفعل الكلاميّ هي:

- **شروط مضمون القضيّة:** تحدّد أوصاف المضمون المعبر عنه بقول مخصوص.
- **الشّروط الجوهريّة:** تعيّن هذه الشروط الغرض التواصليّ من الفعل الكلاميّ وهذا الغرض الذي يلزم المتكلّم بواجبات معينّة.

- **شروط الصدق**: تحدّد الحال الاعتقادي الذي ينبغي أن يتوفر في المتكلم المؤدي للفعل.
- **الشّروط التمهيديّة**: تتعلّق بما يعرفه المتكلم من قدرات واعتقادات وإيرادات المستمع، وعن طبيعة العلاقة القائمة بينهما.

3-10- أقسام الفعل الكلامي عند مسعود صحراوي

فيما يتعلق بالتقسيم النّهائي للأفعال الكلاميّة عند اوستين فهو تقسيم خماسي: حكميّة وتنفيذية ووعديّة وعرضيّة وسلوكية، ثم جاء "سيرل" فرفض هذا التّصنيف في إطار نقده لجوانب الضّعف في النظريّة، ورأى فيه غيابا لمبدأ واضح يحكمه، وقسّمه تقسيما خماسيّاً مغايراً معتمداً على القوّة الإنجازيّة التي يحقّقها الفعل.

وقد أكّد المؤَلِف أنّ مفهوم الأفعال الكلامية أخذ حيزاً في النظريّة التداوليّة وأصبح جزءا لا يتجزأ من تركيبه، وقد أضحى مادة سلسة تستهوي الباحثين كما ذكر أن تصنيف هذا المفهوم التداوليّ على اللّغة العربية سيسهم في وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابية التواصلية.

ولا تقف أهمية هذا المصطلح اللّساني عند هذا الحدّ، بل أنّ استثماره في قراءة الإنتاج العلمي لعلمائنا القدامى سيساعد على استكشاف وتمكين جوانب من جهودهم الجبّارة[32].

ويذكر المؤلف بعض المحاولات التي سعى من خلالها أصحابها إثراء الساحة بمؤلفات لسانيّة، والتي تختص بدراسة هذه الظاهرة وأعطى مثالا على ذلك بما كتبه طالب سيد هاشم الطبطبائي وكذا عادل فاخوري ظل سلسلة الموسوعة الفلسفية تحت عنوان "نظرية الأفعال الكلامية" وتحت عنوان "الاقتضاء في التداول اللّساني"، وسنشير إلى أنّه قد استفاد من هذه الدّراسات إفادة معتبرة في توضيح بعض الرؤى والمفاهيم الفلسفيّة والمنطقيّة المستعصيّة في تراثنا عند المعاصرين إلّا أنّه أضاف أنّها لم تكن كافية[33].

ولقد علّق مسعود صحراوي على العمل الذي قام به الفيلسوف اوستين والذي اعتبره عملا فلسفيّا ذا فائدة وظيفيّة جديدة للّغة بعد أن كانت اللّغة مجرّد وسيلة للتّأثير في العالم وصناعته، صارت أداة التفكير ووصف الأنشطة الإنسانيّة المختلفة، وهذا ما تم تسميته بالفعل الكلامي واعتبر أنّ جوهر الأفعال الكلاميّة هو القسم المسمى "الأفعال المتضمنة في القول"، وعليه فهو يستحق الدّراسة والتّصنيف واعتبر أنّ من فوائد بحث "اوستين" عدم الاعتداد كثيرا بالتمييز بين الخبر والإنشاء لحملهما فعلاً كلاميّاً إنجازيّاً.

ويضيف صاحب المؤلف أنّ الجهد الذي بذله "سيرل" في عرض الأفعال الكلامية يعتبر هو العرض النموذجي للنظريّة في أيامنا، بوصفه يبيّن القيمة الفلسفية والتداوليّة للنظرية ولا سيما

تحليله للمكونات والأسس التصنيفية لعناصر القوى المتضمنة في القول، وهذا الجهد الذي اعتبره المؤلف كبيرا رأى أنّه يجب إعادة النظر فيه خاصة فيما يتعلق بمبدإ اتجاهات المطابقة.

وقد جاء بعدة اقتراحات وتعديلات خاصة باتجاهات المطابقة والإيقاعات كما أضاف صنفاً جديداً هو الاستفهامات، وطلب اعتماد أداة تصنيفية لتأطير الجهد الذي بذله سيرل[34].

ويعدّ مسعود صحراوي، من الباحثين الذين كانت محاولاتهم قائمة على قضية واحدة وهي أفعال الكلام، وقد تعرض في الفصل الثاني من مؤلفه إلى تقديم تصور إجمالي ودقيق حول بحث العلماء العرب لظاهره الأفعال الكلامية في كتب التراث اللّغوي العربي وقد أكدّ أنّ العلماء تعمّقوا في بحث هذه الظّاهرة وتعمّقوا في تحليل مفاهيمها وتطوير أسس التمييز بين الخبر والإنشاء وطرح الإشكاليات والإجابة عنها، مما يوسع مجال البحث والدراسة.

وقد قام بمناقشة ذلك من خلال نقطتين هامتين هما: الأسس الأبستمولوجية النظريّة لبحث العرب لظاهرتيْ الخبر والإنشاء، ومعايير التمييز بين الخبر والإنشاء عند العلماء العرب توصلوا إلى وضع معايير علمية متفاوتة الدقّة مختلفة في الهوية المعرفية للتمييز بين الخبر والإنشاء وأنّ آخر ما أسفرت عليه البلاغة العربية في مراحل نضجها هو التصور الذي يميز بين الأسلوبين بمعيار القصد ومعيار إيجاد النسبة الخارجية ويؤكد المؤلف على أنّ ظاهرة الأفعال الكلاميّة أخذت نصيباً وافراً من الاهتمام في التراث اللّغوي العربي ضمن نظرية الخبر والإنشاء وقد اشتغلت بها طوائف متعددة من العلماء في فروع علمية كثيرة متنوعة مما يدل على حضورها القوي في المنظومة المعرفية العربية.

إنّالمعايير التي اعتمدها العلماء العرب للتمييز بين الخبر والإنشاء متعددة ومختلفة باختلاف المراحل وتطورها وإنّه كان يسود في كل مرحلة منها معيار تصنيفي معين فكان أن اعتمد العلماء العرب في المرحلة الأولى معيار الصدق والكذب ثم اعتمدوا في مراحل لاحقة معيار مطابقة الخارجية واعتمدوا في المرحلة ثالثة معيار إيجاد النسبة الخارجية، فالإنشاء يوجد نسبته الخارجية دون الخبر والخبر يصف نسبته دون الإنشاء لأنه مرتكز على معيار القصد باعتباره معياراً تصنيفياً كـ "السبكي" في شرحه لـ"تلخيص الخطيب القزويني" و"الشيرازي" في شرح "اللمع والقرافي في الفروق"، وقد كانت أطوار هذه المرحلة التاريخية الطويلة متّسمة بطغيان أدوات التحليل المنطقية التي أثّرت بقوة في البحث اللّغوي العربي ولاسيما البلاغي فتركت أثارها العميقة في جهازه المفاهيم والمقولاتي[35].

وقد استنبط صحراوي عدّة نتائج بعد إجرائه مقارنة بينما توصلت إليه التداوليّة المعاصرة وما كان قد أقرّه العلماء العرب ومن ذلك:

أنّ فعل الكلام يشعب إلى أربع شعب أساسية لا إلى ثلاث كما فعل "اوستين" وتلميذه "سيرل"، وأنّ تلك الشّعب هي:[36] فعل القول والفعل المتضمن في القول والفعل المستدعي للقول والفعل الناتج

عن القول ويندرج في شعبة الفعل المُستدعي بالقول: الأمر بالنهي ... ويندرج في شعبة الفعل المتضمن في القول: ألفاظ العقود والمعاهدات كالبيع والشراء والإدلاء بالشهادة.

أمّا فيما يتعلق بالفصل الثّالث فقد تعرّض فيه مؤلفه إلى كيفية قيام العلماء العرب إلى تقسيم الظاهرتين الأسلوبيتين أنواع من التقسيمات حسب مراحل تطور الدّرس البلاغي العربي خصوصا والعلوم العربية عموما، وقد تتبع تقسيمات العلماء العرب على شكل مرحلي ودراسة كل مرحلة لوحدها لتعذر جمع كل المراحل مع بعضها لاختلاف الآراء والتوجهات وحاول اللّساني الجزائري في فصله الرابع التّعرف على المسائل التطبيقية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي الإسلامي وقد تم التركيز على علم أصول الفقه والتي درست ضمن نظريتة الخبر والإنشاء وما انجرّ عنها من مفاهيم جديدة تتمثل في اكتشاف العلماء العرب والمسلمين لأفعال كلامية جديدة منبثقة عن تلك الأفعال الأصلية المعروفة لدى المعاصرين.

وأوضح كيفية استثمار معطياتها عند علمائنا في إطار رؤيةٍ تكاملية للتراث العربي وكذا التعرف على استثمار معاني الخبر والإنشاء في العلوم العربية من خلال علم أصول الفقه.

وبعد استقراء مسعود صحراوي لأعمال بعض علماء علم أصول الفقه توصل إلى جملة من الملاحظات والنتائج منها نقطتين: أن علماء أصول الفقه كانوا من أحسن المستثمرين لظاهرة الخبر والإنشاء في إطارها التداوليّ معتمدين مقولات ومبادئ: سياق الحال ووضع المتكلم وموقعه من العملية التواصلية وغرضه من الخطاب .... وطبقوها على نصوص القرآن والسنة بغرض دراسة المعاني الوظيفية لتلك النصوص وهي المعاني التي تطرأ على القول وتتغير من مقام إلى آخر وعلاقة تلك المعاني بقائلها وعلاقة ذلك كله بظروف القول والمراسلات الخطاب ودرسوا أيضا ألفاظ العقود والمعاهدات وما تقتضيه من تشريعات اجتماعية وسياسية والقوى الإنجازية لتلك المواضعات القولية وشروطها وأحكامها وتمكن من استنباط أفعال كلامية جديدة ضمن بحثهم لمعان الخبر والإنشاء كالإذن والمنع والوجوب والتحريم والإباحة واعتقادهم بمقولة القصد أو الغرض....[37]

لقد وصل المؤلف إلى خلاصة مفيدة في نهاية فصله هذا حيث أقرّ أنّ الأصوليين والفقهاء هم دارسون لنصوص شرعية وهي نصوص عربية فكان من اللائق أن تكون الاعتبارات اللّغويّة هي المدخل المناسب لتلك الدراسات وأضاف أنّ ذلك كان داعيا لهم إلى انتحاء منحى دراسي متجه إلى المعنى والغرض حتى يحققوا غاياتهم الدراسية "المنحى التداوليّ" الّذي كان أكثر استجابة لطبيعة النص المدروس ولغرضهم العلمي من وراء الدراسة، وقد عالجوا أساليب النصوص الدينية ومعانيها علاجا تداوليّا مستثمرين بعض الظواهر والمفاهيم التي لم تتمكن اللّسانيات التداوليّة وفلسفة اللّغة من بلورتها إلا حديثا، كما أنّهم استنبطوا عبر الجمع بين المنطلقات والمفاهيم النظرية من جهة والنصوص

التطبيقية من جهة أخرى أفعالا كلاميّة جديدة من الأساليب الخبرية أهمها: الرواية والشهادة والوعد والوعيد والدعوى والإقرار والكذب والخلق... وقد استنبط أفعالا كلامية أخرى من الأساليب الإنشائية أهمها: الإذن والمنع والنذر والإباحة والتحيز والتعجب وألفاظ العقود والمعاهدات والإيقاعات...

ودرس أسلوب الاستفهام ومعانيه دراسة معمّقة واستنبط منها فروعا مهمة من الأفعال الكلامية (منها على الخصوص التقرير الإنكار الإبطالي والإنكار الحقيقي) .... واعتدوا بمبدأ الغرض من كلام المتكلم وقصده أيّما اعتداد وفضلوه على الصيغة إذا طرأ عليها ما يخل بأدائها الإنجازي، فالعبرة عندهم بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني، وقد اعتبرنا كل هذه الظواهر الجديدة أفعالا كلامية منبثقة عن الكلمات الأصلية طالما أنها ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف وسلوكيات اجتماعيّة أو مؤسساتيّة بالكلمات[38].

أما فيما يتعلق بالأفعال الكلامية عند النحاة فقد خصّص له المؤلف فصلا كاملا، وقد وجد أنّ أهم ما يميز بحوث النحاة العرب تطبيق ظواهر الخبر والإنشاء على موضوع بحوثهم وأهمها الأفعال الكلامية التي تطرق لها النحاة العرب كفعل التأكيد، فعل الإغراء، فعل التحذير وفعل الثناء... وهذا ما يؤكد مبدأ تركيزهم على البعد التداوليّ للظاهرة اللّغويّة ويعطي مثالا على "سيبويه" الذي أقرّ أنّ القسم لا يكون تأكيدا للكلام، وأنّ الاستفهام عدّة وظائف تواصليّة منها التنبيه، كما أنّ آراء "عبد القاهر الجرجاني" فيها تصور عربي يندرج ضمن "نظرية النظم"، فهو يرى أنّ النحو ليس حركات إعرابية وإنما وظيفته الأساسية إبراز الفروق بين المستويات التداوليّة للتراكيب بحسب الأنماط المقامية التي تردّ فيها تطبيقا لقاعدة (لكل مقام مقال)، واعتبر أن التداوليّة بمقولاتها ومفاهيمها الأساسية المتمثلة في سياق الحال وغرض المتكلم وإفادة السامع ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب ومفهوم الأفعال الكلامية يمكن أن يكون أداةً لقراءةِ التراث العربي.

وقد لاحظ المؤلف أيضا بحسب ما كتبه في إصداره أنّ جمهور النحاة العرب منذ عصر "سيبويه" لاسيما نحويين كبار ك "عبد القاهر الجرجاني"و"الرضيّ الاستراباذي"،أولوا عناية كبيرة بالارتباط التداوليّ بين الأسلوبين خبراً كان أم إنشاءً وبين معناه البلاغي ووظيفته التواصلية، مع حرصهم الفوري والمتكرر على الاهتمام بالمعاني والأغراض البلاغية المنتقاة من الخطاب وإصرارهما على أن البني التركيبية التابعة للوظيفة التواصلية وليس العكس، فسلكا منهجا تواصليّاً في تحليل الظواهر التركيبية كظواهر التقديم والتأخير والتعيين والإثبات، والتي لا تعدو أن تكون أغراضا وغايات يسعى المتكلم إلى تحقيقها،أمّا بلغة المعاصرين فهي أفعال كلامية طالما أنه يراد بها تخصيص الخطاب أو الحرص على تضمين الخطاب فائدة تواصلية معينة أو تنبيه المخاطب أو تأكيد الرسالة البلاغية له أو

نداؤه أو تحذيره أو توبيخه وهذه الأفعال الكلامية تؤدى إمّا عن طريق لفظ مفرد كمعاني الأدوات أو عن طريق تركيب كامل كبعض معاني التأكيد والتخصيص والتعيين .

وزاد على ما لاحظه أنّ طرفي الخطاب (المتكلم والمخاطب) يحظيان باهتمام بالغ في تحليلات العلماء العرب القدامى وخصوصا "عبد القاهر الجرجاني"و"الرضيّ الاستراباذي" فلم يغفلا عن العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب.

كما أنّ البحث النحوي في تراثنا اهتم بالمصطلح اللّساني "الأفعال الكلامية" ضمن تطبيق معاني الخبر والإنشاء على بعض الظواهر النحوية ومن ثم فقد ناقش نحاتنا القدامى كثيرا من المعاني المتعلقة بإنجازية الأساليب العربية المختلفة بخلفية تداوليّة، بل تطرق إلى الأفعال الكلامية من فعل التأكيد وفعل الإغراء وقد أشار الكثير من النحاة إلى المعاني والأغراض العميقة الكامنة وراء الألفاظ والمباني ومن ذلك إشارة "الخليل أحمد الفراهيدي" إلى أن القسم لا يراد لذاته وإنما يراد منه الإلحاح في الطلب وإمّا تأكيد الخبر[39] .

لقد اعتبر صاحب الكتاب أنّ نظرية الخبر والإنشاء من الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين ولقد ازداد انشغال الباحثين بهذه الظاهرة إلا أن الهدف من دراستها كان مختلفا فيما بينهم فجلّ البلاغيين وكثير من النحاة توسعوا في بحث كل من أسلوبي الخبر والإنشاء باستفاضة باعتبارهما مقصدا وغاية في ذاتهما بحكم أن طبيعة النصوص التي يدرسونها تقتضي التأطير والتطبيق للنوعين الأسلوبيين جميعا لكن مع تفاوت وظيفي بين البلاغيين والنحاة. أما الفلاسفة والمناطقة فقد استبعدوا التراكيب غير الخبرية ولو كانت دالة ومفيدة وقصروا تحليلاتهم على التركيب الخبري وحده... فاهتموا بالظاهرة اهتمامهم بالوسائل والأدوات لا المقاصد والغايات أما الأصوليون والفقهاء فقد تميّز بحثهم أنه للظاهرتين الأسلوبيتين معا، برؤية تداوليّة محكومة بآلية البعد المقاصدي[40] .

من خلال قراءتنا لكتاب التداولية عند العلماء العرب دراسات دولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، خلصنا إلى نتيجة مهمة تتمثل في: وضوح معالم التّداولية الحديثة، في تراثنا العربيّ القديم بداية من الدّرس اللّغوي، ومرورا بالدّرس البلاغي، ووصولا للدّرس الدّيني، وبالرغم من اختلاف المصطلحات، إلّا أنّها تتّفق معا في أنّ للأفعال الكلامية دورها المهم في إبراز الأبعاد التّداولية في الخطاب اللّغوي التراثي.

ولقد أسهم هذا المؤلف في إحياء رؤية الباحث اللّساني الجزائري للتراث العربي القديم والعمل على تجديده والكشف عن كيفية قراءته لهذا الإرث العظيم، فالدكتور مسعود صحراوي من الذين كان لهم السّبق في التّأسيس للّسانيات التداولية العربية المعاصرة، من خلال رؤيته في ضرورة تطبيق

المقاربة التّداولية على اللّغة العربيّة، لأنّه يساعد على وصفها، ورصد خصائصها، وتفسير ظواهرها الخطابية والتواصلية، كما تبرز لمسته الخاصة في اقتراحه لتوظيف المصطلح العربي (الخبر والإنشاء)، كبديل لمصطلح الأفعال الكلامية، وهذه إضافة في الدّرس اللّساني لا يمكن إنكارها.

4- الخاتمة:

نستنتج في ختام هذا البحث جملة من النتائج أهمها:

- أنّ الدكتور مسعود صحراوي لسانيّ جزائريّ سعى إلى الإسهام في التأسيس لدرس تداوليّ جزائري له جذوره المعرفيّة وأدواته الإجرائيّة، وقد عرض أهمها من خلال نظرية تداوليّة وعلى ضوء الدّرس التداولي الحديث.
- الدكتور صحراوي من الباحثين الذين رأوا أنه من الواجب العودة الى التراث اللّغوي القديم فهو موروث قيّم تركه القدماء، ولهذا فقط ربط بين الفكر اللّساني المعاصر والفكر اللّغوي العربي ليؤكد أنّه كانت لهم الأسبقية في ضبط العديد من المصطلحات والمفاهيم قبل الباحثين الغربيين فالمنهج التداوليّ موجود وبوضوح في الدراسات اللّغويّة العربية القديمة عند الفلاسفة والنحاة والبلاغيين وحتى الأصوليين.
- اقترح الكاتب المصطلح العربي (الخبر والانشاء) بدلا عن المصطلح العربي (الأفعال الكلامية) لأصالته ووضوحه.
- لقد أدرك الباحثون العرب أنّ الأفكار التي أطلقها "اوستين"فيما يخصّ نظريته الشّهيرة "أفعال الكلام" ليست اكتشافا جديدا بالنسبة للتراث العربي الإسلامي بقدر ما هي تركيز على بعض الأفكار المُثبتة فيه ضمن نطاق واسع في كتب اللّغة لاسيما البلاغية منها وكتب التفسير والأصول والمنطق وغير ذلك وقد صدر مؤخرا العديد من الدراسات التي أخذت تقرأ أو تقارب التراث وفق معطيات المنهج التداوليّ.
- إنّ عناية العلماء العرب المسلمين باللّغة كان مبكرا جدا منذ مئات السنين ما أنتج العديد من الأفكار والنّظريّات اللّغويّة الناضجة والأصلية والتي سبقت في كثير من جوانبها ما طرحته الدراسات الغربية فلو فتشنا في تراثنا لوجدنا الكثير من مبادئ التداوليّة حاضرة فيه وبمصطلحات مغايرة.
- لقد شدد المؤلف على التداوليّة بمقولاتها ومفاهيمها الأساسية كسياق الحال وغرض المتكلم وإفادة السامع ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب ومفهوم الأفعال الكلامية ورأى أنّها أداة من أدوات قراءة التراث العربي في شتى المناحي ومفتاح من مفاتيح فهمه واشترط أن تجسد مفاهيمها حتى نتأكد من كفايتها الوظيفية والتفسيرية لدراسة الظواهر اللّغويّة.

- وقد رأى أنّه من الضروري اعتماد المنهج التداوليّ وتوظيفه في قراءة التراث العربي لاسيما المصطلح اللّساني "الأفعال الكلامية" ليتمكن من قراءة تراثنا العظيم من خلال الأسس الأبستمولوجية والمنهجية والتي تجعل منه منظومة قائمة بذاتها مستقلة ومتكاملة.
- شرح المنهج التداوليّ وحصر أسسه ومبادئه ومفاهيمه الإجرائية التي اعتمدها علماؤنا القدماء من النحاة والبلاغيين والأصوليين والفقهاء في دراسة اللّغة العربية وما يتعلق بها من مراعاة سياق الحال الغرض الذي يريده المتكلم من كلامه والفائدة التي يجنيها المخاطب من الخطاب وأشاد الدكتور صحراوي بضرورة مدّ الجسور للتواصل بين الدّرس اللّساني التداوليّ الحديث والتراث العربي.
- قيّم الدكتور مسعود صحراوي وقوّم جهود العلماء القدماء من نحاة وبلاغيين ومفسرين وأصوليين واعتبرها جهود جبارة كشفت عن براعتهم ونضجهم الفكري ودقة منهجيتهم فأسسوا للدرس اللّغوي، وقد كان لهم السبق في كثير من القضايا اللّغويّة التي طرحتها النّظريّات اللّسانيّة الغربية اليوم هذه الجهود كما يرى الدكتور إذا جمعت وخضعت للدراسة الجادة والتمحيص يمكن أن تسهم في تأسيس نظرية لسانيّة عربية لها جذور ضاربة في عمق الأصالة ولها مفاهيم وإجراءات لسانيّة حديثة مسايرة للحداثة يمكن أن تنعكس قيمتها العلمية والفكرية على منتوجنا التراثي.
- إنّ القارئ لكتاب "التداوليّة عند العلماء العرب" يلحظ مدى الاطلاع الكبير لصاحبه ومدى معرفته للمستجدات العلمية والفكرية والدراسات اللّسانيّة التداوليّة، ومدى النضج الفكري الكبير والمعرفة بالنّظريّات الغربية والإلمام بالتراث العربي القيم.

إنّ هذا المؤَلَف أضاف للمكتبة الجزائرية والعربية في الجانب التداوليّ وللتذكير فقد تم تناوله بالبحث والدراسة من مجموعة من الباحثين المهتمين لهذا الجانب كما يعتبر مرجعا مهما ومفيدا للدراسات في هذا المجال.

كما أنّه من الضروري أن نأخذ على عاتقنا تقديم بعض التوصيات منها: ضرورة العودة إلى التراث القديم وربطه بالدرس الحديث، وكذا ندعو إلى دراسة حياة الأعلام الجزائريين دراسة متكاملة.

5. قائمة المراجع:

- ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة. تح: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،د ط، 1979، ج2).
- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، (دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت).
- بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللّغة، قراءة في التصور التحليلي، (منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م)
- بهاء الدين محمد يزيد، تبسيط التداوليّة من أفعال اللّغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، (شمس للنشر والتوزيع، ط1، 2010م).
- جمال حمود، مسألة المعنى ونشأة التحليل في الفلسفة المعاصرة، مجلة مواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 9، 2014م
- جورج بول، التداوليّة، تر: قصي العتابي، (دار العربية للطباعة ناشرون، بيروت، ط1، 2010م)
- حافظ إسماعيلي علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، التداوليّة وتحليل الخطاب، (بحوث محكمة، كنوز المعرفة، ط1، 2014)
- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التداوليّة مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، (بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط2، 2012م).
- خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللّسانيات (دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م).
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م).
- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة البنيوية، (عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م).
- عبد الهادي، بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغويّةتداوليّة، (دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2000م).
- فان دايك، علم النص، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، (دار القاهرة للطباعة، ط1، 2001م).
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، الاسكندرية، (دار المعارف الجامعية، 2002م).

- مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، (دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م).
- معاذ بن سليمان، الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، مقاربة تداوليّة، (دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2004م).

الهوامش:

[1] يُنظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداوليّة في اللّغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1985، ص08.

[2] حافظ إسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، التداوليّة وتحليل الخطاب، بحوث محكمة كنوز المعرفة، ط1، 2014، ص173.

[3] خليفة بوجادي، في اللّسانيات التداوليّة مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط2، 2012م، ص135.

[4] يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّةتداوليّة- دار الكتاب الجديد المتحدة ط1-2004-ص ص21-22.

[5] فان دايك، علم النص، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001، ص114.

[6] جورج بول التداوليّة: ترجمة قصي العنابي دار العربية للطباعة، ناشرون، بيروت ط1، 2010، ص13.

[7] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص21.

[8] معاذ بن سلمان الدخيل منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، مقاربةتداوليّة، دار التنوير للطباعة والنشر تونس ط1، 2004، ص19.

[9] يُنظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعارف، الجامعية، 2002، ص ص12-13.

[10] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة،د ط، د ت، مادة (دول) مج2، ج16، ص ص1455-1456.

[11] ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة. تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1979، مادة دول، ج2، ص314.

[12] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2000، ص28.

[13] يُنظر: بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداوليّة من أفعال اللّغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص18.

[14] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[15]مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.

[16]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[17]المرجع نفسه، ص05.

[18] المرجع نفسه، ص15.

[19]المرجع نفسه، ص16.

[20] المرجع نفسه، ص17.

[21]يُنظر: حمود جمال، مسالة المعنى ونشأة التحليل في الفلسفة المعاصرة، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 2014، 9م، ص236.

[22]خليفي بشير، الفلسفة وقضايا اللّغة قراءة في التصور التحليلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص58.

[23]مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، ص21.

[24]المرجع نفسه، ص27.

[25] المرجع نفسه، ص ص27-28.

[26] المرجع نفسه، ص29.

[27]المرجع نفسه، ص40.

[28] خليفة بوجادي، في اللّسانيات التداوليّة مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط2، 2012م، ص86.

[29] مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص40

[30]خليفة بوجادي، مرجع سبق ذكره، ص89.

[31] ينظر: خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص161.

[32] ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة البنيوية، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2012، ص154.

[33]مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، ص09.

[34] المرجع نفسه، ص223.

[35]المرجع نفسه، ص224.

[36]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[37]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[38]المرجع نفسه، ص 225

[39]المرجع نفسه، ص226.

[40]المرجع نفسه، ص56 -57